

## تفسير البحر المحيط

@ 451 الأيكة اسم الناحية ، فيكون علماً . ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص :  
ليكة ممنوع الصرف . كفروا فسلطوا عليهم الحر ، وأهلكوا بعذاب الظلة . ويأتي ذلك  
مستوفى إن شاء الله تعالى في سورة الشعراء . وإن عند البصريين هي لمخففة من الثقيلة ،  
وعند الفراء نافية ، واللام بمعنى ألا . وتقدم نظير ذلك في : { وَإِن كَانَتْ  
لَكَبِيرَةً } في البقرة . والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في وأنها عائد على  
قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب . أي : على أنهما ممر السائلة . وقيل : يعود على شعيب  
ولوط أي : وإنها لبإمام مبین ، أي بطريق من الحق واضح ، والإمام الطريق . وقيل :  
وإنهما أي : الحر بهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة ، لفي مكتوب مبین أي : اللوح المحفوظ .  
قال مؤرخ : والإمام الكتاب بلغة حمير . وقيل : يعود على أصحاب الأيكة ومدين ، لأنه مرسل  
إليهما ، فدل ذكر أحدهما على الآخر ، فعاد الضمير إليهما .

{ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ \* وَآتَيْنَاهُمْ \*  
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* وَكَانُوا يُدْعَوْنَ مِنَ الْجِبَالِ يَئُوتًا  
ءَامِنِينَ \* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ \* فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَسَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ } : أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام ، والحجر أرض بين  
الحجاز والشام ، وتقدمت قصته في الأعراف مستوفاة . والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً ،  
لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً . قال الزمخشري : أو أراد صالحاً ومن معه  
من المؤمنين كما قيل : الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه . وعن جابر قال : مررنا مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ( على الحجر فقال لنا : { لَا تَدْخُلُوا \* مَسَاكِينَ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا \* أَنْفُسَهُمْ \* إِلَّا أَنْ \* تَكُونُوا \* حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ  
لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَهُمْ يُدْعُونَ \* لَآتَوْا \* وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ رَاحِلُوا \*  
فَأَسْرَعُوا \* فِي خَلْفِهَا \* فِي بَعْضِ طَرَفِهَا \* ثُمَّ قَالَ : { هَؤُلَاءِ قَوْمٌ \* صَالِحٌ \* وَمَا يُؤْمِنُ  
أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا \* وَهُمْ \* مُشْرِكُونَ \* فَأَمَّا مَنْ \* أَنْ تَأْتِيَهُمْ \*  
غَاشِيَةٌ \* مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ \* } قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : ( أبو رغال ) وإليه  
تنسب ثقيف .

وآتيناهم آياتنا قيل : أنزل إليهم آيات من كتاب الله ، وقيل : يراد نصب الأدلة فأعرضوا  
عنها . وقيل : كان في الناقة آيات خمس . خروجها من الصخرة ، ودنو نتاجها عند خروجها ،  
وعظمها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعاً . وقيل : كانت له آيات غير

الناقة . وقرأ الجمهور : ينجتون بكسر الخاء . وقرأ الحسن ، وأبو حيوه بفتحها وصفهم  
بشدة النظر للدنيا والتكسب منها ، فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها في  
الحجارة . وآمنين ، قيل : من الانهدام . وقيل : من حوادث الدنيا . وقيل : من الموت  
لاغترارهم بطول الأعمار . وقيل : من نقب اللصوص ، ومن الأعداء . وقيل : من عذاب الله ،  
يحسبون أن الجبال تحميهم منه . قال ابن عطية : وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون  
عواقب الآخرة ، فكانوا لا يعملون بحسبها ، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها . ومصبحين :  
داخلين في الصباح . والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية ، وتحتل الاستفهام المراد  
منه التعجب . وما في كانوا يحتمل أن تكون مصدرية ، والظاهر أنها بمعنى الذي ، والضمير  
محذوف أي : يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد ، بل خروا جاثمين هلكتهم وما  
خَلَقْنَا \* السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ \* وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ  
السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ \* السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا  
بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ  
الْجَمِيلَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَسِيفُ الْعَلِيمُ \* وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ  
سَبْعًا مِّنَ الْمُتَنَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ \* لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى  
مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ  
جَنَاحَكَ لِلْعُلَمَاءِ \* وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ \* كَمَا  
أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ \* الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ \*  
فَوَرَبُّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* فَاصْدَعْ  
بِمَا تُوِّمِرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّا كَفَيْنَاكَ  
الْمُسْتَهْزِئِينَ \* الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ  
يَعْمَلُونَ \* وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَعْيُنَ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ  
فَسَيِّجٌ بِرَحْمَدِ رَبِّكَ وَكَأَنَّ مِّنَ السَّاجِدِينَ \* وَأَعْيُدُّ رَبُّكَ حَتَّى  
يَأْتِيَ تَيْدِكَ الْيَقِينُ } : إلا بالحق أي : خلقا ملتبسا بالحق . لم يخلق شيء من ذلك  
عبثا ولا هملا ، بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم ، وليتذكر النشأة الآخرة  
بهذه النشأة الأولى . ولذلك نبه من يتنبه بقوله : وأن الساعة آتية ، فيجازي من أطاع ومن  
عصى . ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ( بالصفح